

الأساس هي الطب النفسي الافتراضات الأساسية: الفصل الخامس:

## ملف اضطرابات الوعي (20)

صدمة معرفية!! والمحاولة مستمرة

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD06715.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

[mokattampsy2002@hotmail.com](mailto:mokattampsy2002@hotmail.com) - [rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/07/06

السنة الثامنة - العدد: 2866



نبتت أمس إلى مدى ما يمكن أن يتطرق إليه بحثنا في هذا الجانب من الوعي: وعى النوم ووعى الحلم، وخشيت أننا بذلك قد نبتعد عن اهتمامات الطبيب/المعالج بقدر لا يمكن تداركه، وفي نفس الوقت اكتشفت أنني حين أصر على أن ما أكتبه في هذه المرحلة في هذا العمل الذي لم أستقر على تغيير عنوانه بعد هو مرحلة "قراءة النص البشري"، وهي كما ذكرت أمس مرحلة ضرورية، تكاد تكون حتمية، قبل الانتقال إلى مرحلة "قده" (علاجه)، ثم إنني أزعم أنني أستلهم هذه القراءة من واقع ثقافتنا، في نفس الوقت الذي لا أتباهي بثقافتنا دون ثقافة الآخرين، ولا أرفض أى إضافة مناسبة من أى ثقافة أخرى.

ثم إنني توقفت مرة أخرى لأؤكد أن قراعتي في ثقافتنا هي قراءة محدودة بثقافة عربية (بقدر ما تجمعنا الجغرافيا والتاريخ واللغة المشتركة)، مصرية (بقدر ما يتاح لي من نصوص بشرية سواء تعرت بالمرض أم تغطت بالدفاعات)، وهنا تثار قضية أثرت من قديم بدءًا بمواجهة سيجموند فرويد نفسه وهي التي ترفض تعميم ما نشاهده في المرضى على الأسوياء، وقد سبق أن ناقشت ذلك ورفضته، ولن أعود إليه الآن، المهم: هذه هي مصادري التي تحددني، وفي نفس الوقت تسمح لي بالانطلاق منها، للاستعانة بكل ما تيسر من خارجها.

بالصدفة - تقريباً - أتحت لي دعوة كريمة للتعرف على بعض إنجازات: رائد، عربي، معاصر، مبدع، شجاع، عالم، نادر، وكان الفضل في ذلك للشبكة العربية أيضاً "شعن" ورئيسها د. جمال التركي، وإذا بي أمام هذه الصدمة المعرفية الرائعة التي أشعرتني بالخلج الشديد، والتقصير الهائل، لتأخرى عن معرفته كما ينبغي حتى هذه اللحظة، وقد بلغت هذا العمر، وادعيت كل هذه الادعاءات: إذ كيف أسمح لنفسي بالتحدث عن الشخصية العربية، واللغة العربية، والثقافة العربية، وخاصة فيما يتعلق بتخصصنا وأنا لم أقرأ كل حرف كتبه هذا الإنسان العربي الفريد؟ أن الأوان أن أذكر اسمه وأنا أستحي منه، هو "أ.د. علي زيعور"، وقد وجدت أنه لا يصح أن أعقب على روعة ما وصلني منه في اللغة، والتاريخ، والعلوم، والفلسفة، والفكر، والإيمان، (II) لمجرد أنني اطلعت على عناوين مؤلفاته، وتصفحت بعضها (مجرد تصفح)، حيث وصلني أن مواضيعه كلها ترتبط ببعضها البعض بفكرة محورية رائعة صلبة جوهرية في صلابه الماس والتوحيد، وبالتالي فلا يصح لمن مثلي أن يدلي ببلوه إلا شكراً واحتراماً حتى يلم بأغلب ما جاء فيها بشكل أو بآخر مهما طال الزمن، فوجدت - بكل صراحة - أن هذا يتطلب مني أن أوقف كل نشاطاتي لمدة بضعة أشهر بل ربما أعوام حتى أكون أميناً في الحكم أو النقد، أهلاً للتعلم والاستزادة، ومع تقديري لهذه الإنجازات كلها دون استثناء، اعتذرت لنفسي قبل أن أعتذر له، وقلت أمر على بعض ما وصلني مما يخص ما أنا فيه الآن وهو الأحلام.

عثرت على عمل له بعنوان:

أستلهم هذه القراءة من واقع ثقافتنا، في نفس الوقت الذي لا أتباهي بثقافتنا دون ثقافة الآخرين، ولا أرفض أى إضافة مناسبة من أى ثقافة أخرى.

أن قراعتي هي ثقافة عربية قراءة محدودة بثقافة عربية (بقدر ما تجمعنا الجغرافيا والتاريخ واللغة المشتركة)، مصرية (بقدر ما يتاح لي من نصوص بشرية سواء تعرت بالمرض أم تغطت بالدفاعات)

أتبعته لي دعوة كريمة للتعرف على بعض إنجازات: رائد، عربي، معاصر، مبدع، شجاع، عالم، نادر، وكان الفضل في ذلك للشبكة العربية أيضاً "شعن" ورئيسها د. جمال التركي

"الكرامة الصوفية، والأسطورة، والحلم:

القطاع اللاواعى فى الذات العربية"، ط2 سنة 1983

بالله عليكم هل يصح أن أوصل الكتابة فى موضوعى هذا بدون الإلمام برؤية وإبداع هذا الموسوعى المبدع معا فى هذه الكتاب على الأقل؟  
ثم خذ عندك:

"تفسيرات الحلم وفلسفات النبوة" 2000

وأيضا:

"الأحلام والرموز أداة كشف وعلاج نفسى:

فى مجالات الشخصية والاضطرابات النفسية والفكر"، 2002

طيب ، بالله عليكم مرة أخرى كيف أوصل الادعاء بأننى أكتب عن وعى النوم ووعى الحلم فى ثقافتنا العربية دون أن أطلع على هذه الأعمال الرائدة بهذا القدر الهائل من الموسوعية والإيمانية والإبداع؟

ثم بكل جهد، وبأكبر قدر من الاعتذار، وضعت كل ذلك جانبا واعدت نفسى بعودة ضرورية فى أقرب وقت يكون أولى بها كما يتبجح لى ربي، وأن أقصر حديثى الآن على ما وصلنى من قراءة النص البشرى مباشرة من خلال مهنتى فى مواجهة "اللحم الحى"، (بالتعبير المصرى الشائع)، هذا المنهج الذى يحدد دورى فى تسجيل خبرتى لتتدعم أو لا تتدعم بالمعارف الأخرى من كل أنحاء الدنيا أو التاريخ، وبالذات بما يخص ما أسميه ثقافتنا الخاصة.

وقد بلغنى من أعمال هذا الرائد المبدع أن انطلاقاته إنسانية إيمانية عالمية تاريخية (وليست عولمية ولا شوفينية)، فاطمأنتت إلى فكرة خطرت لى أن النص المسمى "الكائن البشرى" (وهو اسم أفضله عن اسم الهوموسايانز) لا بد ألا ترتبط قراءته ارتباطا استيعاديا بأى نص بشرى بذاته، من ثقافة معينة، وبالتالي تكون الاختلافات فى اللغة والثقافة الظاهرة المتاحة وليس فى الطبيعة الإنسانية الغائرة وقوانين البقاء الخاصة بالكائن البشرى عامة.

هذه هى الصدمة المعرفية التى عنونت بها هذه النشرة، خجلا، واعتذارا، ووعدا، واحتراما.  
ثم أكتفى اليوم بأن أعدد للطبيب/المعالج المعالم الأساسية التى ربما تغريه بالعودة إلى المتابعة دون استغراق فيما ليس كذلك.

### مدخل تطبيقي عن طبيعة النوم والأحلام:

يعتبر النوم محكا جيدا لرصد درجة من التوازن الحيوى النفسى والبيولوجى معا، وهذا لا يعنى أن من ينام جيدا هو سليم مثلا، فلكل شخص نظامه فى النوم الذى تعود عليه، والذى يُعتبر سويا له مادام يساعد فى كفاءة أدائه وتكيفه.

فإذا اختل هذا النظام الخاص بشخص بذاته مع ما يصاحب ذلك من تعطلّ فى كفاءته أو إعاقة لتكيفه اعتبر اضطرابا، وفى كثير من الأحيان تعلن بداية الاضطراب النفسى أو النكسة من خلال اضطرابات النوم، وأيضا: عادة ما يؤخذ النوم وعودته إلى طبيعته محكا للتقدم نحو الشفاء.

والنوم حالة طبيعية من تبادل مستويات الوعى، ولم يعد ينظر إليه باعتباره الوجه السلبي لليقظة أى أنه ليس غيابا للوعى، وإنما ينظر إليه الآن على أنه "وعى آخر" (كما ذكرنا أمس).

كما أن الأحلام هى كذلك متغير دال على مسيرة وأطوار أى اضطراب نفسى. وقد تغيرت النظرة إلى الأحلام أيضا، فبعد أن كان الاهتمام السائد هو بمحتواها وتفسيرها، انتقل الاهتمام إلى رصد الظاهرة فى ذاتها والعناية بوظيفتها وإسهاماتها المعرفية والتنسيقية مهما كانت خفية غير مرصودة، الأمر الذى يُستنتج أكثر من أثرها وليس مما يحكى عن محتوياتها، وذلك باعتبارها مستوى

وإذا بهى أمام هذه الصدمة المعرفية الرائعة التى أشعرتنى بالخجل الشديد، والتقصير الهائل، لتأخرى عن معرفته كما ينبغي حتى هذه اللحظة، وقد بلغت هذا العمر، وادعيت كل هذه الادعاءات

كيفه أسمع لنفسى بالتحدث عن الشخصية العربية، واللغة العربية، والثقافة العربية، وخاصة فيما يتعلق بتخصصنا وأنا لم أقرأ كل حرفه كتبه هذا الإنسان العربى الفريد؟  
آن الأوان أن أذكر اسمه وأنا أستحي منه، هو "أ.د.على زيعور

بالتالى فلا يصح لمن مثلى أن يدلّى بدلوه إلا شكرا واحتراما حتى يلم بأخلمج ما جاء فيها بشكل أو بآخر مهما طال الزمن

كيفه أوصل الادعاء بأننى أكتب عن وعى النوم ووعى الحلم فى ثقافتنا العربية دون أن أطلع على هذه الأعمال الرائدة بهذا القدر الهائل من الموسوعية والإيمانية والإبداع؟

ثالث من الوعي غير مستوى وعى اليقظة ووعى النوم (كما أشرنا أمس)، وهذا التبادل الإيقاعي الدورى ما بين النوم واليقظة ثم ما بين النوم الحالم (النقيضى) والنوع غير النقيضى بشكل منتظم هو من أهم ما يحافظ على سلامة الإيقاع الحيوى للكائن البشرى شريطة أن يقوم كل طور بفاعليته (كما سيرد ذكره لاحقا)

### ويمكن إيجاز وظيفة النوم - بصفة عامة - فيما يلى:

- (1) توفير الراحة ، ليس بمعنى الاسترخاء والسكون، ولكن بمعنى الاتساق مع الطبيعة الدورية، وإعطاء كل مستوى من الوعي حقه للقيام بمهامه بما تتاح له من فرص طبيعية ونظام حيوى فطرى.
- (2) إعادة تنظيم وتماسك المعلومات، وهذا يتجاوز ويسهم مع كل من عمليات العقل الحديث (المفكر) فى معالجة (اعتمال) المعلومات، وأيضا مع العقل الوجدانى الاعتمالى الذى رأينا كيف يساهم فى هذه المهمة.
- (3) صمام أمن ضد أى "بسط" عشوائى، حيث يقوم الحلم بهذا البسط النفسىولوجى بانتظام إيقاعى واق، كما ظهر من تجارب الحرمان الحلم. وإذا لم يقم النوم بتأدية هذه الوظائف نتيجة لخلل كمي أو نوعى أدرج ذلك فيما يسمى اضطرابات النوم.

### وبعد

يا ترى هل هذه المقدمة تكفى أن تسمح لى بالانتقال إلى تعداد اضطرابات النوم وأنواعها ومغزاها، أم أن الأمر يحتاج إلى أن نخرج بقدر مناسب إلى التعرف على مشاهداتى وفروضى التى أوردتها أمس فيما يختص بمستويات الوعي، ومستويات الحلم، وعلاقة الحلم المحكى، بعملية الحلم ذاتها، والوحدة الزمنية متناهية الصغر التى نَشَكَلُ فيها الحلم قبيل اليقظة، بأقل قدر من الارتباط المباشر بما هو حلم كامن، بل بما هو الحلم بالقوة كما أسميناه فى أطروحة سابقة **(الإيقاع الحيوى ونيض الإبداع)**، وكيف أن الحلم بهذه الصورة هو إبداع الشخص العادى على كل المستويات، باعتبار أن الإبداع هو إعادة تشكيل بعد تفكيك، وهذا هو ما يقوم به النشاط الحالم تحت مظلة نشاط النوم المحيط.

فى انتظار رأيكم ولكم ما تطلبون بإذن الله.

وفىما يلى إعادة ما نشر أمس عن ما يمكن أن يستدرجنا قبل الدخول فى تعداد اضطرابات النوم.

- (1) النوم حالة وعى إيقاعية تبادلية **وليس غيبا أو نفيا لوعى اليقظة.**
- (2) الحلم (النشط: حلم الريم REM) هو **حالة وعى إيقاعية تبادلية أخرى داخل وعى النوم.**
- (3) اليقظة هى **حالة وعى إيقاعية تبادلية مع حالة وعى النوم** (بما يشمل وعى الحلم).
- (4) الإبداع هو **حالة وعى فائق يحتوى بجدل نشط معظم الأنواع السابقة من الوعي** وغيرها.
- (5) **الاختراب فى فرط العادية على حساب حركية الإيقاع التبادلي والجدلى بين مستويات الوعي:** هو من أخطر ما يهدد النوع البشرى حاليا برغم عدم إدراجه - عادة - ضمن المرض الصريح.
- (6) الجنون فى أخطر صورته السلبية (الفصام المتسخ إلى المتدهور) هو **تخثر فى مستويات الوعي (جميعها تقريبا) لدرجة الحيولة دون أى تبادل إيقاعى مناسب بينها** فضلا عن انتفاء أى احتمال للجدل نحو الواحدية.

أما بالنسبة للنوم والأحلام فقد فضلت أن أتبه ابتداءً إلى موقفى من دراساتها، وبالذات تفسيرها على الوجه التالى:

1- إن التركيز على "الحلم المحكى" يتم على حساب استيعاب وظيفة النوم والحلم التنظيمية

يعتبر النوم محكًا جيدًا لرصد درجة من التوازن الحيوى النفسى والبيولوجى معا

والنوم حالة طبيعية من تبادل مستويات الوعي، ولم يعد ينظر إليه باعتباره الوجه السلبي لليقظة أى أنه ليس غيبا للوعي، وإنما ينظر إليه الآن على أنه "وعى آخر"

تغيرت النظرة إلى الأحلام أيضا، فبعد أن كان الاهتمام السائد هو بمحتواها وتفسيرها، انتقل الاهتمام إلى رصد الظاهرة هى ذاتها والعناية بوظيفتها وإسمائها المعرفية والتنسيقية مهما كانت خفية غير مرصودة

وذلك باعتبار الأحلام مستوى ثالث من الوعي خير مستوى وعى اليقظة ووعى النوم (كما أشرنا أمس)

والإبداعية.

- 2- إن الحلم المحكى، مهما بلغت دقة رصده، فحكيمه، واجتهادات تفسيره، لا تمثل إلا جزءا يسيرا جدا من زمن نشاط عملية الحلم الإبداعية والإبداعية، فضلا عن ترجيح علاقة وثيقة بينه وبين حقيقة العملية التي يمكن أن يكون الحلم المحكى ليس إلا زبدا طافيا بالنسبة لها (أنظر بعد).
- 3- إن تفسير الحلم المحكى قد يكون على حساب تلقائية التبادل وإعادة البناء الحيوى الطبيعية. (بما فى ذلك التفسير التحليلى النفسى).
- 4- إن هذا لا يعنى إهمال كل ما يحكى على أنه حلم، ولكنه ينبّه إلى محدودية الإفادة، وأيضا احتمالات القصور فى معنى رموزه وقيمة حضوره.
- 5- إن العلاقة بين الحلم والإبداع والجنون تبدأ من تماثل بداية العمليات الثلاثة مع الاختلاف الشديد بين نتائجها، وفى نفس الوقت فإن المقارنة ممكنة ومفيدة.
- 6- إن الوعى الجمعى، والجماعى، وكذا ما يسمى اللاوعى الجمعى (المستوى الأعمق من الوعى المشترك) تسهم جميعا فى إيقاعية وإبداع الأحلام طول الوقت.

وهذا التبادل الإيقاعى  
الدورى ما بين النوم واليقظة  
ثم ما بين النوم الحالم  
(النقيضى) والنوم غير  
النقيضى بشكل منتظم هو من  
أهم ما يحافظ على سلامة  
الإيقاع الحيوى للكائن  
البشرى شريطة أن يقوم كل  
طور بها على طبعه

[1]- وكلها متاحة بالمجان PDF على النت لمن يشاء وقتما يشاء كيفما يشاء، فيا للكرم ويا  
للمسألة !!!

\*\*\* \*\*

شبكة العلوم النفسية العربية  
الكتاب السنوي الثالث عشر

مؤسسة العلوم النفسية العربية  
تمديكو

الكتاب السنوي الثالث عشر لشبكة العلوم النفسية العربية



"شعرون / أرابسينات"  
مسيرة إثنتي عشر عاماً  
2015-2003

تحميهم ل الأهم حياء

[www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet12Years.pdf](http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet12Years.pdf)

الإنسان والتطور  
الإصدار التاسع - خريف و شتاء 2014 / 2015  
ملف الوحدان و إضطرابات العواطف  
أ.د. يحيى الرخاوي



تنزيل كامل الإصدار  
[http://www.arabpsynet.com/pass\\_download.asp?file=1002](http://www.arabpsynet.com/pass_download.asp?file=1002)

المفهرس  
<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/eBT9/eB9YRCont&Chap1-2.pdf>

دليل الإصدار السابفة  
<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRak.htm>